مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة
(JAAUTH)
الموقع الإلكتروني: http://jaauth.journals.ekb.eg/

الدور الريادي لعلماء المسلمين في علاج المرضى النفسيين

إسراء مجدي لطفي محمد بوسي محمد حسين زيدان رضوى محمد عمر الفاروق

قسم الإرشاد السياحي – كلية السياحة والفنادق – جامعة قناة السويس

معلومات المقالة

الكلمات المفتاحية

الطب النفسي؛ علماء المسلمين؛ البيمارستانات؛ أنواع البيمارستانات؛ النظم الإدارية.

(JAAUTH)

المجلد ٢٣، العدد ١، (ديسمبر ٢٠٢٢)، ص ٢٢٠- ٢٥٠.

الملخص

تتحدث هذه المقالة عن الدور الريادي لعلماء المسلمين في الطب النفسي وتطور مفهوم الطب النفسي وإدراجه كأحد الفروع الأساسية للطب على مدار العصور الإسلامية. فقد أوضحت الدراسة جهود العلماء المسلمين في تشخيص الأمراض النفسية والعقلية حيث استطاعوا التوصل إلى وجود ارتباط بين الأمراض النفسية وبعض الأمراض العضوية؛ فضلاً عن الدور الذى قام به هؤلاء العلماء في تطوير وتقديم العلاج المناسب للمرضى النفسيين والتعامل معهم. كما تناولت المقالة نشأة البيمارستانات الإسلامية في مصر وبلاد الشام من حيث الوظيفة والانواع والنظم الإدارية لتلك المؤسسات ودورها في تقديم الرعاية الصحية والنفسية للمرضى بالمجان.

مقدمة

عُرّف الطب قديماً في أوسع معانيه بأنه فن رعاية المرضى والمصابين وتخفيف الآلام. فيعد الطب من أعرق المهن وأنبلها، وعلى الرغم من أن أصوله الأولى كان يشوبها الغموض وتعتمد على السحر والشعوذة إلا أنه وعلى مر العصور تقدم الطب بشكل كبير حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن.

كان الانفتاح عند علماء المسلمين في العلوم الدنيوية على نحو غير مسبوق من الحضارات السابقة، فلم يكن هناك أي حرج في أن يطلع العلماء المسلمون على العلوم الطبية من العلماء غير المسلمين. فلا يمكننا أن ننكر أن العلوم الطبية قد استمدت أصولها من الحضارات السابقة، فوجدنا أطباء المسلمين يأخذون في التعرف على التراث الطبي اليوناني في البلاد الإسلامية المفتوحة؛ من خلال حركة الترجمة إلى اللغة العربية ومزجها بالتراث

الإسلامي. وبالتالي لا يمكن أن ننكر أن العلوم الطبية في العصر الإسلامي قد استمدت أصولها من الحضارات السابقة. (١)

ويُعد الطب من أوسع مجالات العلوم الحياتية التي كان لعلماء المسلمين فيها إسهامات بارزة على مدار عصور حضارتهم الزاهرة، وكانت تلك الإسهامات على نحو غير مسبوق؛ كأن يخيل للمطَّلع على هذه الإسهامات الخالدة أنها لم تكن قبل حضارة المسلمين. (٢) فقد عرف عن الأطباء العرب والمسلمين أنهم ذو قدرة على الملاحظة الدقيقة التي ساعدتهم على اكتشاف عدد كبير من الأمراض وأسهموا في تشخيصها وعلاجها؛ فتميز علماء الطب المسلمون بأنهم عرفوا بالتخصص فمنها طب العيون، طب الباطنة، طب الجراحة ، طب العظام، طب النساء والتوليد، طب الأطفال، والطب النفسي والعقلي الذي برز دورهم فيه بشكل غير مسبوق. (٣) سيتم تناول هذا الدور من خلال توضيح المقصود بالمرض النفسي وطرق علاجه قبل الإسلام، يليها التعرف على أشهر الأطباء المسلمين الذين تخصصوا وبرعوا في علاج المرضى النفسيين؛ كما سيتم تناول نشأة البيمارستانات الإسلامية ونظم العلاج بها ويلي ذلك استعراض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

منهجية البحث

١- المرض النفسي وطرق العلاج المتبعة قبل الإسلام.
٢- دور العلماء في التعامل مع المرضى النفسيين وطرق علاجهم.
٣- نشأة البيمارستانات الإسلامية ونظم العلاج بها.
٤- النتائج.

أولاً: المرض النفسي وطرق العلاج المتبعة قبل الإسلام

عرف الإنسان الاضطرابات النفسية ووسائل عديدة لمعالجتها منذ القدم، هي لم تكن وليدة عصرنا هذا فقط ونتيجة لمتغيراته الحضارية وما ارتبط به من اضطرابات سياسية واقتصادية واجتماعية؛ إنما هي قديمة قدم الإنسان ذاته على وجه الأرض. ولقد حاول الإنسان منذ عصور التاريخ المبكرة في علاج تلك الأمراض بشتى الوسائل المتاحة لديه، وطبقاً لمعتقداته الروحية والاجتماعية تجاه هذه الأمراض. (٤)

فقد عُثر على جماجم تعود للعصر البرونزي المبكر (٢٠٠٠-٢٥٠٠ ق.م) بها آثار إجراء عملية تُعرف بالتربنة (٥) والتي تظهر بها قطوعات أو ثقوب تلتئم على مدار حياة الشخص.(٦) وترجح تلك العملية لمعالجة

(١) ماهر عبد القادر: دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١م، ص٥٣.
(٢) راغب السرجاني: ماذا قدم المسلمون للعالم، مؤسسة اقرأ، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ،٢٠٠٩م، ص.٢٥٦
(٣) عبدالرحمن محمد العيسوي: الطب النفسي في التراث الإسلامي، دارة الملك عبدالعزيز، مج٨، ع٢، أكتوبر ١٩٨٢م، ص١٠٣.
(٤) طارق الحبيب: لمحة موجزة عن تاريخ الطب النفسي في بلاد المسلمين، دار المسلم، ١٤١٩هـ، ص٧.
(٥) عملية التربنه: هي عملية جراحية تقوم على إزاله جزء من عظم الجمجمة قطرها حوالي ٥ سنتيمترات لكى يخرج منها الأرواح الشريرة والمواد الفاسدة، وتُجرى تلك العملية بواسطة آلات جراحية مصنوعة من حجر الصوان بعد قطعها بطريقة تشبه المشارط الطبية، وقد ضمت متاحف مصر والعالم مجموعات أثرية لتلك الآلات المصنوعة معظمها من حجر الصوان. أيمن توفيق: تاريخ الجراحة منذ أقدم العصور، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٣٦.
(٦) سمية حسن: آلات الجراحة في مصر على مر العصور، مركز الدراسات البردية، جامعة عين شمس، العدد الثامن، ١٩٩٢م، ص٣٦.

بعض الأمراض النفسية والعصبية اعتقاداً منهم أن تلك الارواح الخبيثة تدخل في رأس المريض وتصيبها. حيث كان يفتح الطبيب فتحة نافذة – دائرية أو مربعة – ليخرج منها الأرواح الحبيسة بداخله والتي تسببت في اضطراب سلوكه. (٧)

في بلاد ما بين النهرين كان الطب في بادئ الأمر عند السومريين والبابليين في حوزة طبقة الكهنة. (٨) حتى امتزج بالسحر لإعتقادهم أن السبب الوحيد للإصابة بالأمراض تلك الأرواح الخبيثة. (٩) كما اعتقدوا أن لكل مرض شيطانًا مسئولا عنه، ومن ثم فإن الأرواح الشريرة التي تتسبب في المرض وتلحق الضرر بالجسم في ذلك العصر يقصد بها الأمراض النفسية والعقلية في وقتنا هذا. وقد ذكرت النصوص المسمارية الطبية العديد من الأمراض النفسية كما يلي: " بحسب ما إذا كان الشخص يعاني من نوبات حادة أو خفيفة من الصرع، أو بدأت تنتابه أفكار عن الاضطهاد وأن الآلهة غاضبة عليه، أو إذا كان يصاب بهلاوس، أو لديه شعور دائم بالرعب والفزع ". (١٠)

أما عن **المصري القديم** قد اعتقد أن المرض النفسي ناتج عن عوامل غامضة تؤثر على الإنسان تأثيراً ملحوظا. وتفاوتت مسميات تلك العوامل من فترة إلى أخرى بناء على التطور العلمي والبيئي والعقائدي في تلك الفترة، إلا أنه مهما اختلفت المسميات فإنها اتفقت بشكل عام على وجود أرواح أو شياطين لها القدرة على أن تسيطر على الإنسان وتصرفاته، فإن كانت تلك الأرواح خيرة وجهته نحو تصرفات إيجابية، وإن كانت خبيثة فهي توجهه نحو تصرفات سلبية. (١١) ووجدنا بردية كاهون تتحدث عن بعض الأمراض النفسية وأعراضها كمرض الهستيريا، كما تضمنت وصف دقيق لعدد من الأمراض التي تندرج اليوم تحت بند الاضطرابات الهستيرية؛ واحتوت على سرد لبعض حالات المرضى. (١٢)

ثم جاء **اليونانيين** وأخذوا الكثير من معارفهم الطبية نتاج الأمم السابقة عليهم والمجاورة لهم (القدماء المصريين والبابليين)، فدرسوا أعمالهم في مجال الطب وزادوا عليها بمعرفتهم؛ فتميزت العقلية اليونانية بأنها عقلية منطقية نشطة لذا صار لهم شأن عظيم في مجال الطب. ويكفي الحضارة اليونانية فخراً أنها أنجبت أبقراط (أبو الطب

---

(٧) كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال، د.ت، ج١، ص٢٧.

(٨) استوطن السومريون في منطقة ما بين النهريين (وهي العراق حاليا) وذلك سنة ٤٠٠٠ ق.م. وكانت لديهم حضارة عريقة ورثها عنهم البابليون، ثم الآشوريون، إلى أن احتلت بابل ونينوى مركز الحضارة سنة ٢٠٠٠ ق.م. فالسومريون: هم أقوام نزحوا من جنوبي شرق دجلة إلى حوض ما بين النهرين الأسفل في حوالي منتصف القرن الأربعين ق.م. واستطاعوا إنشاء حضارة بها الكثير من العلوم والفنون بقيت من مميزات حضارة ما بين النهرين إلى انقراضها في أواخر القرن الخامس ق.م. أما عن البابليون: هم أقوام عربية هاجرت من الجزيرة العربية واستوطنت منطقة أكد شمال الأراضي السومرية، وسيطر ملكها سرجون الأكدى (٢٦٣٧-٢٥٨٢ ق.م) على السومريون وضم بلادهم إلى مملكته. وفي سنة ١٩٥٥ ق.م ظهر الملك حمورابي على مسرح تاريخ بلاد النهرين، وهو من العمريين الذين هاجروا الجزيرة العربية واستوطنوا في ديار الشام ثم نزحوا إلى بابل، وقد جعل حمور أبي عاصمته بابل التي سرعان ما ازدهرت فيها الحياة الإجتماعية والتجارية، والزراعية، وارتفع شأنها العسكري حتى غطت على حضارة سومر وأكد. فيعد عصر حمورأبي ازهي عصور =بابل التي خُلِّدت في التاريخ. محمد كامل حسين: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا، ١٩٩٧م، ص٢٧٧-٢٧٨. كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي، ج١، ص٤٢-٤٤.

(٩)محمد على بديوي: تطور العلوم الطبية والمساهمة الإسلامية فيه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد٣٣٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٤٠.

(١٠) كلود كيتيل: تاريخ الجنون من العصور القديمة وحتى يومنا هذا، ترجمة سارة رجائي يوسف وكريستينا سمير فكرى، ومراجعة محمد السيد الطوخى، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥، ص١٦.

(١١) عبدالستار إبراهيم: العلاج النفسي الحديث، المجلس القومية للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٠م، ص٨-٩.

(١٢) أحمد عكاشة: الطب النفسي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢م، ص١٩-٢١.

سنة٤٦٠–٣٧٥ ق.م) [١٣] الذي يعد من عمالقة الطب الذين أنجبتهم البشرية، فله الفضل في تقويم الطب عند الإغريق. هو أول

من بوب الطب على أسس علمية صحيحة بالتشخيص الواقعي بدلا من السحر والشعوذة. حيث قام بوضع قواعد وأسس تعتمد على التجربة والقياس كما وضع تقاليد المهنة الطبية والتي لا تزال هي المثل الأعلى لمزاولة الطب. [١٤] وهو أول من اتخذ بستانا مجاوراً لبيته خاص لاستقبال ومعالجة المرضى، وكانت أول مستشفى عُرفت في تاريخ الطب، وسمي المكان أخسندوكسين (وتعني باللغة اليونانية مكان المرضى) وتمكن بها من تعليم الطب لكل البشر خلافا لوصية إسكليبيوس. [١٥] ولعل من أعمال أبقراط الخالدة أنه وضع قوانين المهنة الطبية التي ما زالت هي المثل العليا لمزاولة مهنة الطب إلى الآن. [١٦]

كان أبقراط على دراية واسعة بفن الجراحة وطرق رد الخلوع وجبر الكسور، وابتكار الكثير من الأدوات الجراحية. [١٧] كما اهتم بالأمراض النفسية ونادى بالبعد عن المعتقدات الخاطئة بفكرة الأرواح الشريرة أو أنها عقاب من الرب، فقد نادى بمعالجة الاضطرابات النفسية كمعالجة الأمراض الجسمانية. [١٨] فكان أول من حرر الطب النفسي من الروحانيات الفلسفية، ونبه إلى وجود العقل وأن مكانه المخ وأنها هي التي تكيف الانفعالات والأفكار والأخلاط. [١٩] فقد اهتم بالأمراض النفسية وبرع في تشخيصها وعلاجها مثل حالة الاضطرابات النفسية للوضع أو النفاس، والهستيريا، والهذيان الناتج عن الحمى والذي فرق بينه وبين اختلال العقل في مرض

(١٣) أبقراط (٤٦٠-٣٧٠ق.م): هو ابن إقلديوس (هيراكليدوس) بن أبقراط سابع أطباء اليونان من آل أسقليبوس مؤسسي الطب الإغريقي، أطلق عليه "أبو الطب"، ويعنى أبقراط باليونانية هو القابض على عنان جواده بمعنى الفارس الماهر، ولد في جزيرة قوص (قو/قوص- كوس COS) في بحيرة إيجة سنة ٤٦٠ق.م. ومات في لاريسه (٣٧٥-٣٥١ق.م) بالجهة الغربية بشاطئ اسيا الصغرى. كان لإبقراط عدداً كبيراً من المقالات الطبية، ومن أهم تلك الكتب ومنها كتاب تقدمة المعرفة. ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي ت١٢٦٩هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص٤٣. سمير شيخاني: أعلام الحضارة، بيروت، ١٩٨١م،ج١، ص٢٦. عيسى إسكندر المعلوف: تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوى، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٢٢.

(١٤)حسن كمال: الطب المصري القديم، الهيئة المصرية العامة للكتب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م، ص١٨.

(١٥) سميه حسن: آلات الجراحة، ص٣١. التي كانت تنص على أنهم لا يعلمون الطب إلا لمن يمت إليهم بالنسب. حيث ظل الطب محتكراً على هذه الأسرة تتناقله فيما بينهم شفويا دون تدوين، إلى أن جاء أبقراط وكسر ذلك الاحتكار عن العلوم الطبية، وكشف عن أسرارها خوفا من تدهور صناعة الطب. فأخذ بتدوينه وتعليمه إلى واحد من تلاميذه من غير الأسكليبين. كمال السامرائي: مختصر في تاريخ الطب، ج١، ص٨٦-٨٧.

(١٦) قانون الطب: ينبغي أن يكون المتعلم للطب في جنسه حرا وفي طبعة جيدا، حديث السن معتدل القامة متناسب الأعضاء، جيد الفهم حسن الحديث صحيح الرأي عند المشورة عنيفا شجاعا لا يحب الفضة' مالكا لنفسه عند الغضب ولا يكون تاركا له في الغاية ولا يكون بليدا وينبغي أن يكون مشاركا للعليل مشفقا عليه حافظ للأسرار لأن كثير المرضى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبون ان يقف عليها غيرهم وينبغي ان نحتملهم وينبغي أن يكون حلق رأسه معتدلا مستويا لا يحلقة ولا يدعة كالجمة ولا يستقضى قص أظافر يديه ولا يتركهما تعلو ولا متباطئا. وإذ دعي إلى المريض فليقعد متربعا ويختبر منه حالة بسكون لا بقلق واضطراب. ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء، ص ٤٦-٤٧.

(١٧)رياض رمضان العالمين: الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم، عالم المعارف، ١٩٨٨م، ص٢٥. عيسى إسكندر المعلوف: تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، ص٢٤.

(١٨) المرشد في الطب النفسي: سلسلة الكتاب الطبي الجامعي، إعداد نخبة من أساتذة الجامعات في العالم العربي، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي للشرق الأوسط، ١٩٩٩م، ص٥.

(١٩) الأخلاط: اعتقدوا أن السوائل الموجودة في جسم الإنسان وهي "البلغم والدم والعصارتين الكبدتين لسوداء والصفراء ". وبناء عليه فقسموا سلوك الإنسان إلى أنماط تبعا لتغلب ووفرة نوع الخلط السائل في جسم الإنسان، فيقولون: هذا بلغمى (أي رَضّيِ الخلق)، وهذا دموي (أي سريع الانفعال والغضب)، أو سوداوى (أي الساكت الساهي المدبر)، أو صفراوي (أي الضاغن الحاقد). والجدير بالذكر أن بعض البلاد العربية حتى وقتنا هذا مازالت تستعمل تلك المصطلحات . طارق بن على الحبيب: لمحة موجزة عن تاريخ الطب النفسي في بلاد المسلمين، ص١٣.

الشيخوخة، وكذلك حالات القلق الشديد الحاد وفرق بينها وبين ما يعرف الآن بالاختلاط النفسي الحاد. ومن المعالجات التي قام بها أبقراط لعلاج صداع الهستيريا(وهو ما يُعرف بأسلوب الإيحاء). حيث جاءته فتاة تشكو من صداع ولم يجد له سببا عضويا، فقال لها أبقراط أن حول رأسها حزاما من الحديد لا تراه ولكنه يضغط على رأسها فيسبب الألم، ثم جاء بعصا وضربها على رأسها قائلا أنه قام بكسر الحزام الضيق حول رأسها، واقتنعت الفتاة وشفيت من الصداع. (٢٠)

وقد امتد نظر ابقراط إلى مختلف الأمراض فتعمق في دراسة الكآبة أو الاكتئاب، ووصفه بأنه الرهبة والحزن الدائم أما مرادفها في اللغة اليونانية القديمة بالمالينخوليا. وقد أشار في كتابه " المرض المقدس " عن مرض الصرع ونظر إليه نظرة إكلينيكية واعتبره مرضا عضويا. (٢١)

وعندما ورث **الرومان** ممتلكات الدولة اليونانية بعد إسقاط حكم البطالمة بعد انتصار أغسطس قيصر على الملكة كليوباترا أخر ملوك البطالمة في موقعة أكتيوم عام ٣١ ق.م واستيلائه على مصر سنة ٣٠ ق.م. (٢٢) ولكنهم لم يستطيعوا أن ينتزعوا من اليونانيين الشهرة العلمية والطبية في ذلك الوقت. فأصبحت روما وتوابعها طوال الستة قرون الأولى بعد الحكم اليوناني من دون طبيب يعمل بالقواعد العلمية، فكانوا يعتمدون على الكهنة والسحرة والنصائح المتوارثة التي عرفوها من الأطباء الوافدين إلى البلاد. (٢٣) كما اشتهر الرومان باستعمال الرياضة والحمامات الساخنة بدلا من العقاقير، ونالوا سمعة جيدة في استخدام الموسيقى وبعض المهدئات والرياضة لعلاج الأمراض العقلية. (٢٤)

ثم تأتى مرحلة أخرى في تاريخ الطب؛ وهي تخص **العرب بشبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام**. حيث كانت المعالجات للآلام المختلفة تتم بالطرق الشعبية التي لا تتعدى معرفة بعض الأدوية والأغذية كالمعالجة بالفصد، فلم تقتصر شبه الجزيرة العربية على وجود أطباء ذوي المعرفة الواسعة والخبرة؛ فكانوا يلجؤون في أمراضهم إلى الطرق العلاجية الروحية مما زاد في عقول الناس التداوي بتلك الوسائل والتحسن أو الشفاء في بعض الحوادث عن طريق الصدفة أو بتأثير الإيحاء الناتج عن الاعتقاد بالشفاء بتلك الوسائل والثقة بفاعليتها وطرق المعالجة الروحية التي كانت تعرف عند العرب في الجاهلية. (٢٥) على الرغم من تلك المعتقدات إلا أنهم استطاعوا التعرف على العديد من الأمراض وأطلقوا عليها أسماء ما زال الكثير منها معروفا باسمه إلى يومنا هذا، ومن هذه الأمراض داء الفيل، النملة، الجرب، اليرقان، كما أنهم عرفوا أمراض القلب والكبد والرحم. (٢٦)

---

(٢٠) عبدالرؤوف ثابت: الطب النفسي المبسط، الهيئة المصرية العامة للكتب، ص٩.
(٢١) عبدالرزاق القلسى: الاكتئاب والطب النفسي في الحضارة العربية الإسلامية، مؤسسة هنداوى بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، ٢٠١٥م، ص٤-٥.
(٢٢)بركات محمد مراد: التراث الطبي العربي والصيدلة، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٥٧.
(٢٣) محمود الحاج قاسم: الطب عند العرب والمسلمين " تاريخ مساهمات"، الدار السعودية للنشر، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٣٨.
(٢٤) على عبدالله الدفاع: رواد علم الطب في الحضارة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص٤٥.
(٢٥)أحمد عبدالرازق: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى،١٤١١هـ/١٩٩١م،ص١٤٢. عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص١٦٢.
(٢٦) رحاب خضر عكاوى: الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، بيروت- لبنان، ١٩٩٤م، ص ٧٢.

ظل الطب عند العرب خليطاً بين الممارسات الطبية والشعوذة، إلى أن بزغ **فجر الإسلام في شبة الجزيرة العربية**، وحرم السحر والكهانة والعرافة وقضى عليهم، وحذر الناس منها، واعتبر السحرة والعرافين والكهانة من الكافرين. فقد حث الناس على الممارسة الطبية القائمة على القياس والتجربة، مما وجه علماء المسلمين اهتمامهم في التعرف على العلوم الطبية القائمة على التجربة والملاحظة بالأساليب العلمية والمنهجية المدروسة في جميع التخصصات الطبية.(٢٧)

لقد كان الانفتاح عند علماء المسلمين في أمور العلوم الدنيوية على نحو غير مسبوق من الحضارات السابقة، حيث ساعدت حركة الترجمة للعربية– في البلاد التي فتحها المسلمون – في التعرف بشكل موسع على التراث الطبي لليونانيين وغيرهم من الحضارات السابقة على الإسلام.(٢٨)

ثانياً: دور العلماء المسلمين في التعامل مع المرضى النفسيين وطرق علاجهم

فقد عرف عن الأطباء العرب والمسلمين أنهم ذو قدرة على الملاحظة الدقيقة التي ساعدتهم على اكتشاف عدد كبير من الأمراض وأسهموا في تشخيصها وعلاجها؛ فتميز علماء الطب المسلمون بأنهم عرفوا بالتخصص فمنها طب العيون، طب الباطنة، طب الجراحة ، طب العظام، طب النساء والتوليد، طب الأطفال، والطب النفسي والعقلي الذي بُرز دورهم فيه وحققوا الكثير في وقت كانت الاضطرابات النفسية قد انفصلت عن الطب تماماً واتجهت إلى نطاق السحر والشعوذة. (٢٩)

اهتم الأطباء العرب والمسلمون بالطب النفسي مثلما اهتموا بالطب العضوي، وحرروه من مفاهيم السحر والجان التي سادت العالم في هذا الوقت وأفردوا له العديد من الكتب التي اتسمت بالدقة والموضوعية في التشخيص والعلاج، وقدموا فيه ما لم يقدمه غيرهم؛ (٣٠) فمن أبرز العلماء المسلمين الذين اهتموا بالطب النفسي وعلاجه هما أبو بكر الرازي، (٣١) وابن سينا.(٣٢)

---

(٢٧) راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.، ص٢٨. عامر النجار: تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٥٣-٥٤.

(٢٨) ماهر عبد القادر: دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي، ص٥٣.

(٢٩) عبدالرحمن محمد العيسوي: الطب النفسي في التراث الإسلامي، ص١٠٣.

(٣٠) ابن جبير : الرحلة، دار صادر، بيروت، ص ١٩- ٢٠.

(٣١) الرازي: هو أبو بكر محمد زكريا الرازي واحد من أعظم أطباء القرون الوسطى، ولد سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م بالري جنوب طهران. تعلم الطب بعد سن الثلاثين من عمره. عين رئيسا لبيمارستان في الري. ففي أواخر أيامه أصيب لنا العديد من المؤلفات الطبية وأهمها كتاب الحاوي، المرشد، المنصوري، الطب الروحاني، البرهان، والسيرة الفلسفية، الجامع وغيرها. ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء، ص٤١٥.

(٣٢) ابن سينا: هو أبو على، الحسين بن بن عبد الله بن علي بن سينا، لقب بالشيخ أو الرئيس، ولد سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م. كان والده صيرفيا من بلدة بَلخْ في شمال خرسان (وهي أفغانستان اليوم) وانتقل منها إلى بخارى. تميز ابن سينا في علم الطب واشتهر به، وقدم للبشرية نتاجا علميا ضخما. إلى أن توفي في همذان بعد صراع مع المرض سنة (٤٢٨- ١٠٣٨م) ودفن بها. ومن أهم مؤلفاته القانون في الطب. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٤٣٧. القفطي (جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م): تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزنى المسمى بالمنتخبات والملتقطات من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجى بمصر، د.ت، ص٤١٣. هيكل نعمة الله وإلياس مليحة: موسوعة علماء الطب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩١م، ص٥١.

أبو بكر الرازي

كان الرازي من رواد علم الطب في مجال الطب النفسي حيث اتجه إلى الاهتمام بالنفس البشرية وإيمانه التام بالعلاقة الوثيقة بين الصحة النفسية وصحة الجسد، وأهمية العامل النفسي في صحة المريض، وظهر ذلك من خلال كتاباته عن الطب النفسي؛ فله العديد من المؤلفات الطبية تصل نحو ٢٥٠ كتاباً ولكن أشهر الكتب في ذلك المجال كتاب المنصوري والحاوي، اللذان ترجما إلى اللغة اللاتينية. (٣٣)

فأشار الرازي إلى الأثر النفسي في التهاب المفاصل الروماتزمي ، واستطاع أن يفرّق بينه وبين مرض النقرس، وأوضح أنه مرض جسدي في ظاهره إلا أنه ناتج عن الاضطرابات النفسية، وأن أكثر من يظهر عليهم هذه الأعراض من الذين يكظمون الغيظ؛ فيتراكم ذلك الشعور لديهم ويسبب لهم هزات نفسية كبيرة (الاضطرابات النفسية). (٣٤) ووجد الرازي أن بعض أنواع سوء الهضم تنتج عن أسباب نفسية، فيقول: " من الممكن أن يكون لسوء الهضم أسباب بخلاف أمراض الكبد، والطحال، منها حال الهواء والاستحمام ونقصان الشراب، والهموم النفسية ". لذلك يعد الرازي من أوائل العلماء الذين أشاروا إلى ما يسمى في وقتنا الحالي الأمراض النفسجسمية **Psychosomatic** diseases. (٣٥)

وأوضح الرازي أن ما يجري في النفس من خواطر وهواجس، وما تستقبله من آلام ومآسي يظهر أثره في الملامح الظاهرة؛ فمن أجل هذا نادى الرازي بأنه من الضروري على طبيب الجسم أن يهتم بالجانب النفسي للمريض. (٣٦) لذا استخدم أسلوب الإيحاء النفسي كوسيلة علاجية، حيث كان يدعو الطبيب أن يدخل الطمأنينة في نفس مريضه ويبشره بالشفاء، حتى وإن لم يكن متأكداً من ذلك. فيقول الرازي : " أوجب على طبيب الجسم أن يكون طبيباً للروح أولا، وأن يوهم المريض أبداً بالصحة، ويحبّبه بها، ويشجع المريض ويوهمه بالشفاء، وإن كان غير واهم بذلك؛ فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس ". (٣٧) واستخدم الرازي الإيحاء أيضا في تحقيق الشفاء وهي من الحقائق الهامة في الطب النفسي الحديث التي اعُتمد عليها في تخليص المريض من الألم النفسي أو شعوره بالنقص؛ وخاصة مرضى الهستيريا الذين يلعب الإيحاء دورا أساسيا في شفائهم. (٣٨)

استطاع الرازي علاج العديد من الحالات النفسية لبعض المرضى بعدة طرق مختلفة؛ منها معالجته للأمير البخاري الذي كان يشكو من آلام حادة في المفاصل لدرجة أنه لا يستطيع الوقوف، وعالجه الرازي بكل ما لديه من أدوية ولكن كان ذلك دون جدوى إلى أن لجأ إلى العلاج النفسي. فقال للأمير: " إنه سوف يجري علاجاً جديداً، ولكن على شرط أن يعطيه الأمير أسرع جوادين لديه، ووافق الأمير. وفي اليوم التالي وقف الجواديان مع خادم الأمير خارج الحمام لاستقبالهم الرازي، ثم دخل هو والأمير غرفة الحمام الدافئة، وأخذ يصب عليه الماء

(٣٣) المرشد في الطب النفسي: سلسة الكتاب الطبي الجامعي، ص٧.
(٣٤) راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ص٧٠.
(٣٥) الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا ت ٣١٣هـ): سر صناعة الطب، تحقيق خالد حربي، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص٤٥. عامر النجار: تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، ص ١٠٥.
(٣٦) عامر النجار: تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، ص ١٠٥.
(٣٧) الرازي: منافع الأغذية ودفع مضارها، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، ص١٨. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٤٢٠.
(٣٨) عبدالرحمن محمد عسيوي: الطب النفسي في التراث الإسلامي، ص١٠٣.

الفاتر، وجرعه الدواء، ثم خرج ولبس ملابسه وأبقاه زمانا ليسمح للأخلاط أن تنضج في مفاصله، ثم عاد شاهراً سكيناً في وجه الأمير، مهدّداً إياه بالقتل، فغضب الأمير غضباً شديداً، وسرعان ما نهض واقفاً على قدميه بعد أن كان لا يستطيع الوقوف. وهنا فرّ الرازي من الحمام إلى حيث ينتظر خادم الأمير مع الجوادين، فركبا وانطلقا بسرعة هربا من الأمير. وعندما وصل الرازي إلى بلده أرسل إلى الأمير رسالةً شارحاً فيها ما حدث من أنه لما تعسّر علاجه بما أوحاه إليه ضميره، وخشي من طول مدة المرض، فاضطر إلى العلاج النفساني. واختتم الرسالة بأنه ليس من اللياقة أن يقابل الأمير بعد ذلك، فلما عزم الرازي على عدم الرجوع أرسل إليه الأمير مائتي حمل من الحنطة، وحلّة نفيسة، وعبداً وجارية، وجواداً مطّهماً، وأجرى عليه ألفي دينار سنوياً. فنجد أنه استغل عاطفتي الغضب والخجل في علاج الإصابات الروماتيزمية في المفاصل.[٣٩]

ابن سينا

أما عن ابن سينا فهو أحد أكبر وأعظم العلماء المسلمين الذي لمع نجمه في ميدان الطب، وواحد من كبار المفكرين الذين كان لهم تأثير كبير في الانجازات العلمية والفكرية في التراث الإسلامي، حيث كانت له إسهامات عديدة في مختلف المجالات كالعلوم الطبية والقانون، الموسيقى والشعر، الرياضيات والفلسفة وعلم النفس. كما استطاع ابن سينا أن يُقدم للإنسانية أعظم الخدمات بما توصّل إليه من اكتشافات طبية جليلة.

وبالتركيز في مجال الطب النفسي؛ نجد أن ابن سينا قد اهتم بدراسة النفس اهتماما كبيراً لم نجده عند المفكرين المسلمين ممن سبقوه أو أتوا بعده، وقد تأثر بآراء أرسطو وأفلاطون؛ وكانت له آراء فلسفية عميقة أثرت تأثيراً كبيراً في أفكار الفلاسفة اللاتينيين طوال القرون الوسطى. [٤٠]

اتّخذ ابن سينا التحليل النفسي أسلوباً جديداً من أساليب العلاج الطبي، ومارسه ممارسة ناجحة والذي كان له دوراً كبيراً في إعطائه شهرة واسعة في هذا المجال في عصره، فكان على درجة كبيرة من الخبرة بعلم النفس، وقد ربط بين فلسفته وطبه، فاستغلّ علم النفس، وهو جزء من الفلسفة في التطبيب، وهذا ما يتبعه الأطباء في عصرنا هذا. فكان الغرض من التحليل النفسي هو الوصول إلى ما يتكون في العقل الباطن، ثم العمل على إخراج هذه المكونات إلى العقل الظاهر، والحكمة في ذلك تخفيف الضغط على النفس، وبذلك يمكن أن يتخلص المريض من أمراضه العقلية أو النفسية. [٤١]

ومن أمثلة ابن سينا في معالجة بعض الحالات عن طريق التحليل النفسي: " أنه قام بعلاج أمير من جرجان بعد أن استعصى علاجه على جميع الأطباء، فعندما تحدث إليه علم أن الفتى لم يكن به أي مرض عضوي، وأنه

(٣٩) السمرقندي (أحمد بن عمر بن علي نظامي العروضي ت٥٦٠هـ/١١٦٤م): جهار مقالة (الأربع مقالات في الكتابة والشعر والنجوم والطب)، ترجمة عبدالوهاب عزام و يحيي الخشاب، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص ٧٩-٨٠. الرازي: سر صناعة الطب، ص٤٤-٤٥. حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٥٠-٢٥١.

(٤٠) ابن سينا: الشفاء "أحوال النفس"، تحقيق جورج قنواتى وسعيد زايد، مراجعة إبراهيم بيومى مدكور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٠-١٢.

(٤١)ابن سينا (أبو على الحسين عبدالله الملقب بالشيخ ت٧٧٩هـ): القانون في الطب، تحقيق محمد الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت،ج٢، ص٧-٩.

مشغوف بإحدى فتيات حي معين وتبين أن الأمير مريض بالحب، ولكن كتم أمره عن أهله وعن الطبيب أيضا، فلما علم ابن سينا أن شفائه متوقف على معرفة اسم من يحبها، أمر بإحضار اكبر رجال المدينة سنا، وأخذ يناقش الأمير إلى أن توصل إلى معرفة اسم الفتاة التي يحبها؛ وقد جرى ذلك، حيث قام ذلك اثناء الحوار مع الرجل المسن، كان ابن سينا قابضا على رسغ الأمير، ومتتبعا نبضه، وكان نبض المريض يشتد كلما اقترب ابن سينا من التعرف على اسم الفتاة، وحينما ازداد نبض المريض بسرعة مفاجئة، عرف اسم من يحبها وتبين أن تلك الفتاة هي ابنة عمه، فزف إليها، وشفي من مرضه ". (٤٢)

هنا استعمل طريقة التحليل النفسي هنا للوصول إلى سبب الانفعال الوجداني وما اتصل به من عاطفة كامنة كما أنه استعمل الطريقة نفسها كوسيلة علاجية لإثارة انفعالات جسمية، واستدل منها على وجود ارتباط سببي وهو (تسارع النبض) وبين العامل النفسي المسبب لها.(٤٣)

اتبع ابن سينا منهجا متعدد الجوانب في شفاء مرضاه نفسيا ولم يقتصر على منهج واحد محدود بل جمع بين أكثر من منهج علاجي من الأفكار الحديثة. فنصح ابن سينا للعلاج من مرض العشق بالنوم، والاهتمام بالتغذية، وإلهاء المريض عن معشوقته وصرفه عنها وتوجيهه إلى أنشطة وأمور واهتمامات أخرى ويشبه هذا المنهج ما يعرف الآن باسم منهج الإعلاء والتسامي بدفع الفرد وغرائزه ورغباته العدوانية والحيوانية الفجة إلى التسامي بها إلى القنوات الشرعية الإيجابية النافعة التي تمتص فائض طاقته ووقته والتي تبنى على عقله وتصقل شخصيته، وتنمى قدرته واستعداداته، والتي تفيد أيضا المجتمع. ومن ذلك الأنشطة الرياضية والعلمية والثقافية والاشتراك في مشروعات الخدمة العامة كأسبوع المرور، أو النظافة أو محو الأمية، ويقترب منهجه في إلهاء المريض باسم العلاج السلوكي وتغيير العادات السلوكية غير المرغوب فيها عن طريق تكوين عادات أخرى بديلة ونافعة لتحل محل العادات السلبية. (٤٤)

فقد سبق المعالجين النفسانيين وعلماء الفسيولوجيا المعاصرين في معرفة الاضطرابات الانفعالية عند المريض، وذلك من خلال تقييم الأداء والتغير الفسيولوجي الذي يحدث في بدن المريض، والتي تضاهي الآن أجهزة دقيقة الصنع لقياس التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للاضطراب الانفعالي، وهي أجهزة حساسة دقيقة يطلق عليها (أجهزة كشف الكذب) والتي تستخدم في التحقيقات الجنائية. (٤٥)

كما استطاع ابن سينا في هذا المجال بالتعرف على ما يُسمى اليوم بالأمراض الوظيفية وهي أمراض بدنية تحدث نتيجة لأسباب نفسية، وتشمل كلًا من الأمراض العقلية والنفسية؛ كالاكتئاب، والأرق، والفصام، والهوس، وجنون العظمة، والاضطهاد، والشلل، والسكتة الدماغية وغيرها من الأمراض التي شخصها ابن سينا في مجال

(٤٢) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، ص٢٥٤.

(43) Walid. S, "The Contribution Of Arab Islamic Civilization to Mental Health", The Arab Journal of Psychiatry, vol.19, ni-1 (May-2018), pp.57-66.

محمود الحاج قاسم: الطب عند العرب والمسلمين، ص١٨٠.

(٤٤) عبدالرحمن محمد العيسوي: الطب النفسي في التراث الإسلامي، ص٩٦. ابن سينا: القانون،ج٢، ص٧١-٧٢.

(٤٥) طارق الحبيب: لمحة موجزة عن تاريخ الطب النفسي، ص٢١-٢٢. سليم عمار: طب النفس والأعصاب في المغرب والأندلس، اتحاد الأطباء النفسانيين العرب، المجلة العربية للطب النفسي، المجلد ٣، العدد الأول، ١٩٩٤م، ص٢٧.

الطب النفسي. لذلك يعد ابن سينا رائدا في مجال "الطب النفسي الجسمي" وربط التغيرات النفسية بالتغيرات الجسمية. (٤٦)

فتحدث ابن سينا عن الإصابة بذهان الماليخوليا، (٤٧) وذكر قصة لأحد المصابين بالماليخوليا وكيف ابتع علاجاً جديداً؛ فكان أحد أمراء آل بويه الذي أصيب بمرض عصبي امتنع معه عن تناول الطعام، وتوهم أنه صار بقرة وينبغي ذبحه. فلما عُرِض عليه ابن سينا في هيئة قصَّاب أخذ شفرة حادة، وتقدم نحو الأمير وأضجعه موهمًا إياه أنه يريد ذبحه وهو مستسلم وعند لحظة معينة صاح ابن سينا بصوت مرتفع: "هذه بقرة نحيفة هزيلة، أعلفها أولاً حتى تسمن ". وهنا بدأ الأمير في الأكل بشراهة، وكان ابن سينا يدسّ في طعامه الدواء حتى تم له الشفاء. (٤٨) يعد المنهج الذي اتبعه ابن سينا هو الإيحاء لعلاج هذه الحالة وهو نفس المنهج المتبع في العلاج النفسي الحديث، وذلك قبل أن تستعين به أوروبا.

كما ذكر أيضا علاج للماليخوليا قبل أن يتمكن من جسم المريض، وذلك عن طريق رفع الروح المعنوية وأثرها في الشفاء، فيقول: " يجب أن يبادر بعلاجه قبل أن يستحكم، فإنه سهل في الابتداء، صعب الاستحكام، ويجب على كل حال أن يفِّرح صاحبه ". كما أدرك ابن سينا أثر عوامل البيئة في عملية المزاج قائلا: " ويجلس في المواضع المعتدلة، ويرطب هواء مسكنه، ويرطب فراشه، وأن يهتم بشم الروائح الطيبة، والأدهان الطبية، وتناول الأغذية المفضلة "، وهنا يشير إلى العلاج عن طريق الأكل وكذلك اتباع ما يعرف بالعلاج الموضعي، وأيضا العلاج الطبيعي حيث يصب ماء فاتر على رأس المريض والتدليك، فيقول: " يدبر في تخضيب بدنه بالأغذية الموافقة، والحمَّام قبل الغذاء، ويصب على رأسه ماء فاترا ليس بشديد الحرارة ". كما حذر المريض من أن يقوم ببعض الأنشطة كما يتجنب بعض الأطعمة والأشربة والراحة عن طريق النوم، والتجنب عن التعرق الشديد، وتجنب البقوليات، وكل مالح وحارق، وكل شديد الحموضة؛ بل يجب أن يتناول الدسم والحلو، وإذا أراد تقويتهم أن تمسح رؤوسهم بماء الخشخاش، (٤٩) والبابونج، والأقحوان، (٥٠) كما نصح بالنوم أنه من أوفق علاجاتهم. (٥١) من

(٤٦) أمال سالمي وسعاد شهبان: الابتكارات الطبية للعرب في العصر الوسيط، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ٨ مايو- قالمة ١٩٤٥، قسم التاريخ، كلية الدراسات الإنسانية والإجتماعية، ٢٠١٨/٢٠١٧م، ص٧٢.

(٤٧) الذهان: هو مرض يجعل المصاب به معتوها أو مختلط العقل ولا يعرف أنه مريض بالذهان، وقد ذكر ابن سينا أنه قد يكون ذهان عضوي يرجع إلى الدماغ ويتعرف عليه من خلال عدة أدلة. حيث يقول ابن سينا " ما كان خاص بالدماغ إفراط في الفكرة، ودوام الوسواس، ونظر دائم إلى الشيء الواحد وإلى الأرض، لون الرأس والوجه والعين، سواد شعر الرأس وكثافته، ونتيجة سهر وفكر، التعرض للشمس، أو قد يكون أمراض دماغية، أو ذهان وظيفي الذي لا تبدو فيه أي أثر لإصابة عضوية كالفصام، والذهان الهوسي الاكتئابي، والاكتئاب، والبارانويا، وجنون العظمة، وذهان الشيخوخة، وذهان سن إلياس ، وهناك الذهان الحاد وتكون أعراضه أكثر شدة يحدث هلاوس وهذيان، والذهان الوجداني ويحدث فيه التقلب السريع في المزاج، والذهان الكحولي الذي ينتج عن التسمم الكحولي ويؤدى إلى تلف الأنسجة العصبية، والذهان الدوري الذي يجمع بين أعراض الهوس والاكتئاب، والذهان الاكتئابي حيث الشعور بالحزن وإلياس والبطء النفسي الحركي والعصبية في التفكير والهلاوس والهذيان، وذهان العقاقير الذي يحدث نتيجة إدمان المخدرات، وذهان الإجهاد الذي يحدث نتيجة الإجهاد والشعور بالجوع وتكون أعراضه الأرق، وعتامة الشعور، والمخاوف الغامضة، والهلاوس والهذيان العابر. عبدالفتاح محمد العيسوي: المنهج العلمي في الطب النفسي عند ابن سينا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق- فرع بنها، ١٩٩٢م.، ص١٠٣-١٠٥.

(٤٧) طارق الحبيب: لمحة موجزة عن تاريخ الطب النفسي، ص٢١-٢٢. سليم عمار: طب النفس والأعصاب في المغرب والأندلس، ص٢٧.

(٤٨) النظامي العروضي السمرقندى: جهار مقالة، ص٨٥.

(٤٩) الخشخاش: هو نبات يستخلص منه الأفيون، وأوراقه يصنع منها أقراص للنوم، يعالج السعال، حرقة البول، الإسهال المزمن، ومحللا للأورام. كما أشار ابن سينا إلى أن كثرة استعماله خطر قد يؤدى للإدمان وبالتالي تدهور الحالة الصحية. إسماعيل اليوسف: قاموس الطب العربي، دار الكتب العربي، دمشق، ١٩٨٥م، ص٦٦. ابن سينا: القانون، ج٢، ص٨٦.

أجل ذلك اهتم العلماء المسلمين بإنشاء قسم خاص لعلاج الأمراض النفسية والعقلية ضمن المستشفيات العامة والبيمارستانات التي انشأوها في الأقطار الاسلامية.(٥٢) لكي يتلقى فيها المريض معاملة كريمة تليق به كإنسان فاتبعوا أسلوب الرفق واللين في علاجهم لهؤلاء المرضى. كما كانوا يديرون حالهم بأساليب متعددة كالراحة، والرياضة، وبكل ما يريح النفس والأعصاب فأدركوا تأثير الموسيقى على نفس الإنسان وخاصةً هؤلاء المرضى؛ فخصصوا لهم حجرات تتوفر بها الراحة والهدوء، وقاعات للاستئناس؛ فكان كان يشرف عليهم خدم تدربوا على التعامل مع مثل هذه الحالات. كما وفروا لهم الأدوية المهدئة، والعناية الطبية الخاصة على يد أكبر وأفضل الأطباء للعلاج النفسي في ذلك الوقت، لدرجة أن الحكام كانوا يهتمون بأمورهم ويقومون يزورنهم أحيانا؛ وتلك الأساليب اتبعت بالبيمارستانات الموجودة في جميع الأقطار الإسلامية. (٥٣)

ثالثاً: نشأة البيمارستانات الإسلامية

كانت النواة الحقيقة في تأسيس البيمارستانات الإسلامية – كما أشار أغلب المؤرخون – عندما ضرب النبي ﷺ خيمة في مسجده، حين أصيب سعد بن معاذ في غزوة الخندق. (٥٤) حيث ضرب بالسهم في الأكحل. فقد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رُفيدة في مسجد، (٥٥) فكانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين. وقد قال رسول الله ﷺ عندما أصيب سعد بن معاذ : " أجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب ". ففهم من ذلك أن النبي ﷺ أول من أمر بإنشاء البيمارستان الحربى المتنقل في الإسلام. (٥٦)

وقد أنشئ أول بيمارستان ثابت بمعناه الصحيح في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) (٥٧) حيث أمر بإنشائه في دمشق سنة (٨٨هـ / ٧٠٦م) لإيواء المرضى والعناية بهم،

(٥٠) الأقحوان: هو نبات له زهرة صغيرة مر شديد الرائحة، يفتح السداد، ويعمل على تفتت الحصي من الكلى، ويفيد في السعال والربو. إسماعيل اليوسف: قاموس الطب العربي ص٢١.

(٥١) ابن سينا: القانون، ج٢، ص٨٦. عبدالفتاح محمد العسيوى: المنهج العلمي في الطب النفسي عند ابن سينا، ص١٠٦-١٠٧.

(٥٢) البيمارستان: البيمارستان (بفتح الراء وسكون السين)، تعرف بالمستشفيات في العصر الحديث وفى المؤلفات العربية باسم (البيمارستانات) وهى كلمة فارسية الأصل، مكونة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب، و(ستان) بمعنى دار، فالبيمارستان تعنى " دار المرضى " وكان يطلق عليها "دار الشفاء"، ومرور الزمن وكثرة الاستخدام، فاختصرت وصارت مارستان.ابن منظور: أبى الأفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، الطبعة الأولى بيروت، م٦، ١٩٩٢م، ص٢١٧.

(٥٣) على مبارك: الخطط التوفيقية لمصر القاهرة، دار الكتب، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج٣، ص٣٨٥ـ ص٣٨٦.

(٥٤) غزوة الخندق: هي غزوة وقعت في شهر شوال من العام الخامس للهجرة النبوية، أبو بكر البيهقى (أحمد بن الحسين على بن موسي ت ٣٨٤-٤٥٨هـ): دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣.

(٥٥) رُفيدة الأسلمية: هي رُفيدة بنت سعد صحابية وممرضه عاشت في أواخر العصر الجاهلي وأدركت الإسلام، عرفت بصفتها أول ممرضه جراحه في الإسلام. ولدت في المدينة قبل الإسلام، وهاجرت مع الرسول ﷺ إلى المدينة، وشاركت في غزوة الخندق في العهد النبوي؛ حيث أقيمت لها خيمة في المسجد النبوي. وعندما أصيب سعد بن معاذ في تلك الغزوة أمر النبي أن يحولوه إلى خيمة رُفيدة، وكان النبي يمر على خيمتها فيتفقد المرضى ويتفقد حال سعد. كما كانت تداوى مرضى المدينة وتعتبر خيمة رُفيدة بمسجد المدينة أول مستشفى متنقل أو مستشفى حربي في العصر الإسلامي. رحاب خضر عكاوى: الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص٨٤.

(٥٦) أحمد عيسي: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، مؤسسة دار رائد العربي، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٩.

(٥٧) الوليد بن عبد الملك: هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، ولد سنة ٥٠هـ/٦٧٠م. وبويع بالخلافة سنة (٨٦هـ/٧٥٠م)، شب الوليد على الصلاح والتقوى وحب القرآن الكريم. وفي عهده تم إحياء حركة الفتوحات الإسلامية في المشرق والمغرب، بنى المساجد ومنها الجامع الأموي بدمشق، ووضع المنابر، ويعتبر عهده تعمير وبناء الدولة الإسلامية، توفي عام(٩٦هـ/٧١٤) بدير مُرَّوان

حيث أوى فيها المجذومين والعميان حتى لا تنتقل العدوى. فجعل به الأطباء وأنفق عليه الأرزاق، وأمر بحبسهم لئلا يخرجوا ويختلطوا بالناس، وأعطى كل مقعد خادم وكل ضرير قائدا ". [٥٨] ويقال أن بيمارستان الوليد بن عبد الملك بني على غرار بيمارستان جنديسابور الفارسي الذي كان لا يزال يعمل في تلك الفترة. [٥٩]

كما نسب للحكام الأمويين إنشاء البيمارستانات النظامية؛ حيث أمر الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ببناء أول بيمارستان إسلامي بشكله المنظم في الدولة الأموية في دمشق سنة (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م) تحت المئذنة الغربية من الجامع الأموي، واطلق عليه البيمارستان الصغير، وقد أقام ذلك البيمارستان لعلاج مرضى الجذام (البرص). [٦٠] ومع ذلك لم تصلنا أي معلومات عن تلك البيمارستانات؛ حيث لا يوجد أي اثر متبقى منها. كما عُثر على بيمارستان إسلامي آخر في مصر ينسب للدول الأموية في منطقة زقاق القناديل؛ ولكن غير محدد من أسسه. [٦١]

وعرف عن عُمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) [٦٢] اهتمامه بالطب والأطباء. فقام بإنشاء ملجأ للفقراء مزودا بالزيت والطحين، واعتبر هذا الملجأ بيمارستان لوجود الأدوية به، وبعض احتياجات المرضى به. [٦٣] كما عرف أيضا عن الخليفة عمر بن عبدالعزيز اهتمامه بصحة الناس وتوفير الرعاية الصحية والنفسية. [٦٤]

قد واصلت البيمارستانات تطورها وبلغت ذروتها بعد قيام الدولة العباسية؛ وذلك نتيجة الإهتمام بالعلوم الطبية وحركة الترجمة التي شجعها الخلفاء العباسيين، كما شجعوا الأطباء بتشييدهم للمدارس الطبية التابعة للبيمارستانات، ودعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي حضر إليها الأطباء من كافة البلاد والأقاليم التابعة للدولة،

بالقرب من دمشق. وقد استمرت مدة حكمه تسع سنوات وثمانية أشهر، يشبه عهده عهد الخلفاء الراشدين. ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم ت٢٧٦هـ): المعارف، تصحيح وتعليق ومراجعة: محمد إسماعيل الصاوى، الطابعة الثانية، بيروت، ١٣٩٠هـ، ص٢٠٣. المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦هـ/٩٥٤م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، كتاب التحرير، ١٩٦٦م، ج٣، ص١٣٣.

(٥٨) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص١٠.

(٥٩) مؤمن أنيس عبدالله البابا: البيمارستانات الإسلامية، ص١٦.

(٦٠) الجذام (البرص): مرض تسببه باسبليات الجذام، ففي النوع الجلدي أو المتحرك فيه يثخن الجلد، وتظهر فيه براشيف تتحول إلى قروح، وتحدث الوفاة بالإعياء أو الكسل الكلى، أما النوع العصبي فيهاجم الفيروس أعصاب الجلد وتظهر على البشرة بقع غير ملونة برصاء مع خدر وشلل وسقوط أصابع الأيدي والأرجل. ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٥٩.

(٦١) خالد عزب: التراث الحضاري المعماري للمدن الإسلامية، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٣١. مؤمن أنيس عبدالله البابا: البيمارستانات الإسلامية في العصر العباسي (١-٦٥٦هـ/٦٢٢-١٢٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٠م، ص١٦-١٧.

(٦٢) عُمر بن عبد العزيز: هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، ولد بمصر وقيل بالمدينة سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م) ، جمع القرآن الكريم في صغره، وأرسله أبيه إلى المدينة ليتأدب فيها، فكان يختلف على عبيد الله بن عبد الله بن مسعود، كان قبل الخلافة على قدر من الصلاح والورع، إلا أنه كان يبالغ في التنعيم، روى الحديث عن الكثير من الصحابة والتابعين. ابن الأثير(أبي الحسن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، تحقيق أبي النداء عبد الله القاضي، مكتبة دار الكتب، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٨م، ج٥، ص٣٨. ابن كثير (الحافظ أبي الفداء إسماعيل ت ٧٠١هـ): البداية والنهاية، تحقيق على شيرى، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج٩، ص١٩.

(٦٣) مؤمن أنيس عبدالله البابا: البيمارستانات الإسلامية، ص١٦-١٨.

(٦٤) سهيل على ذيب هياجنة: البيمارستانات في العصرين الأيوبى والمملوكي في الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٢م، ص١٣.

فبدأت هذه البيمارستانات تأخذ شكلاً حضارياً فائقاً انتظمت بها مهنة الطب، وأصبحت مهنة مرموقة لا يعبث بها المحتالون والسحرة وأنصاف الأطباء، وأصبح بكل مدينة –على الأقل– بيمارستان واحد كبير عام. (٦٥)

يعد الخليفة المنصور أول من حدد النهج لمن أتى من بعده في تشييد البيمارستانات ثم تابع هذا العمل خلفاؤه من بعده. (٦٦) فعندما جاء أبو جعفر المنصور في سنة (١٣٧–١٥٨هـ–٧٥٤–٧٧٥م) قام بإنشاء أول بيمارستان للعميان ودار لإيواء الأيتام والقواعد وخصص به مأوى للمجانين، وقد أهتم باستقطاب الأطباء من مدرسة جنديسابور وأحد أشهر الأطباء الذي استعان به هو جورجيس. (٦٧) حيث اهتم بالناحية الصحية والنفسية للعامة. (٦٨)

عندما جاء الخليفة هارون الرشيد (١٧٠– ١٨٥هـ / ٧٨٦ – ٨٠١م) قام بنقل مركز الحضارة الطبية من جنديسابور إلى الخلافة العباسية. واهتم ببناء البيمارستانات؛ حيث أنشأ بيمارستان كبيرا في بغداد وألحق به مكتبة علمية ضخمة على غرار البيمارستانات الفارسية، وولى على رئاسته ماسويه الخورى وجبريل بن بختيشوع مشرفاً عليه وهم من أشهر الأطباء الذين لمع نجمهم في بيمارستان جنديسابور، وكان الرازي أحد الأطباء الذين يعملوا بالبيمارستان. وفي عهد هارون الرشيد أيضا تم تأسيس ما يعرف بأول نقابة طبية خاصة للأطباء، فيعد عهده فاتحة خير لإنشاء العديد من البيمارستانات في الدول الإسلامية فيما بعد.(٦٩)

وعندما جاء الخليفة العباسي المعتصم بالله سنة (٢٢٧–٢٣٢هـ/٨٤٢–٨٤٧م) وانشأ بيمارستاناً في بغداد أطلق عليه البيمارستان العتيق أو الصاعدي، وكان قد أوكل بنائه إلى الطبيب أبي بكر الرازي بعد تحديد موضعه طبقاً للظروف البيئية الملائمة له؛ ولكنه أشرف عليه بنفسه. فكان الخليفة مهتماً بالخدم وكل من قام على خدمة البيمارستان وبالأخص الذين يخدمون المغلوبين على عقولهم (المختلين عقليا). كما كان يتكفل بتقديم الأطعمة والأشربة ومن يتكلفون بالمؤن؛ فكان يُخرج كل يوم عشرة دنانير لنفقات البيمارستان وأجوراً للأطباء. (٧٠)

ثم قام الخليفة العباسى المقتدر بالله في عام (٢٩٥–٣١٧هـ/٩٠٨–٩٣٢م) بإنشاء بيمارستان في بغداد يطلق عليه البيمارستان المقتدري نسبة إليه، وكان ينفق عليه من ماله الخاص في كل شهر مائتي دينار. فجعل على ولايته سنان بن ثابت (٧١) وكان رئيسا على الأطباء. (٧٢) كما ارتقت مهنة الطب في عهد الخليفة المقتدر بالله،

(٦٥) مؤمن أنيس عبدالله البابا: البيمارستانات الإسلامية ، ص١٧.
(٦٦) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، ص٢٠٢.
(٦٧) سهيل على ذيب هياجنة : البيمارستان في العصرين الأيوبى والمملوكي في الشام، ص١٥-١٦.
(٦٨) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، ص ٣٠٤.
(٦٩) مؤمن أنيس عبدالله البابا: البيمارستانات الإسلامية، ص١٨. ربحي مصطفي عليان: البيمارستانات "المستشفيات" في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة الأفاق، الناشر جامعة الزرقاء، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، العدد ٧، ٢٠٠٢م، ص٤٩. خالد عزب: التراث الحضاري، ص١٢٧.
(٧٠) مؤمن أنيس عبدالله البابا: البيمارستانات الإسلامية، ص١٨.
(٢) سنان بن ثابت: هو أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحرانى لحق بأبية في صناعة الطب، وتعلم الطب فخدم بطبه ثلاث خلفاء من بنى العباس وهم المقتدر بالله، والقاهر، والراضى بالله. توفى سنان في بغداد سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م وأعقب ولدين هما ثابت بن سنان، وإبراهيم بن سنان وكلاهما عمل فى الطب بخدمة الخلفاء. ولم يعرف لسنان كتاب في الطب بالرغم من ممارسته الواسعة فى فنونه الكثيرة. أما مؤلفاته في الفلسفة والتاريخ والهندسة والفلك والحكمة فعديدة، منها رسالة إلى الوزير ابن الجراح وأخرى إلى الأمير ابن بحكم. ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء، ص٣٠٠.
(٧٢) سهيل على ذيب هياجنة : البيمارستان في العصرين الأيوبى والمملوكي في الشام، ص١٩-٢٠.

وازداد بناء البيمارستانات، وأصبح امتحان الأطباء داخل البيمارستانات شرطاً أساسياً لمزاولة مهنة الطب، وذلك بالأخص عندما علم الخليفة المقتدر بأن أحد الأطباء ببغداد أخطأ في تشخيص حالة أحد مرضاه، ووصف له العلاج فمات على أثر ذلك، فأمر الخليفة المحتسب بأن يمنع جميع الأطباء ممارسة المهنة حتى يقدم امتحاناً يجيز له ، وكلف سنان بن ثابت بن قره بإجراء هذا الامتحان، وفعل سنان ذلك. وأُجري الامتحان لما يقارب من تسعمائة طبيب في بغداد. (٧٣) وقد سنت الشروط الواجب توافرها في القبول بطالب الطب لخصت في سبع صفات سنة ٤٤٠هـ وأهمها: أن يكون تام الخلق، صحيح الأعضاء، جيد الرؤية، ذو مظهر حسن، حسن السمعة، كتوما، عفيف النظر، وواعياً لإكمال علمه، والاستزادة منه بعد نيله الإجازة، وأهمها أن لا يكون ساعيا لجني الأموال في الدرجة الأولى. (٧٤)

لم يكن بناء البيمارستانات في ظل الدولة العباسية في بغداد فقط، بل يوجد العديد من البيمارستانات التي بنيت على مدار العصور وفي جميع البلاد العربية الإسلامية. ومن أشهر البيمارستانات التي أنشئت هو **البيمارستان العتيق** أو الأعلى الذي قام ببنائه **أحمد بن طولون** مؤسس الدولة الطولونية في مصر بمدينة القطائع (٢٥٩-٢٦١هـ/٨٧٢-٨٧٤م)، حيث كان يضم قسم خاص لعلاج الأمراض النفسية والعقلية حتى بلغ اهتمام أحمد بن طولون بالبيمارستان، فكان يتفقد حاله بنفسه ويعمل على راحة المرضى؛ ويقوم بالإشراف عليهم كل أسبوع. (٧٥)

البيمارستان النوري الذي بناه **نور الدين زنكي** في دمشق (٥٤٩هـ/١١٥٤م) لوحة (١،٢)، (٧٦) قدم البيمارستان النوري العلاج لكل المصابين في جميع التخصصات، فأصبح من أعظم الجامعات الطبية في ذلك العصر، وظل يقدم رسالته حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي؛ فكان يشبه المستشفى المركزي في الوقت الحاضر. فيشمل البيمارستان على أقسام متعددة، ولكل قسم أطبائه المتخصصين فيه والمشرفين عليه. ومن هذه الأقسام قسم لعلاج أمراض الباطنة، قسم الجراحة، قسم الكحالة، وقسم التجبير بالإضافة إلى قسم لعلاج المرضى المخلتين عقليا. (٧٧) وقد ذكر في صك الأوقاف التي حُبس ريعها على البيمارستان النوري أن لكل مجنون يقوم على خدمته خادمين ينزعان عنه ثيابه كل صباح، ويحممانه بالماء البارد، ثم يلبسانه ثياباً نظيفة، ويحملانه على أداء الصلاة ويسمعانه قراءة القرآن بالصوت العذب، ثم يفسحانه في الهواء الطلق، كما تُغسل ثياب هؤلاء المرضى وكل هذا يقدم مجانا؛ وذلك يدل على أهمية الاعتناء بالمرضى المختلين عقليا وكذلك مجانية العلاج في البيمارستانات الإسلامية. (٧٨)

(٧٣) مؤمن أنيس عبدالله البابا: البيمارستانات الإسلامية، ص٢٠.
(٧٤) إسلام المازني: تاريخ الطب والأطباء المسلمين، دار العرب ودار نور، د.ت، ص٤٧.
(٧٥) أحمد محمد حسام الدين: البيمارستانات الباقية بدمشق والقاهرة " دراسة معمارية مقارنة "، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص١٠٣-١٠٥.
(٧٦) هو نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر القاسم بن أبي سعيد قسيم الدولة التركي، ولقب بالملك العادل. ولد سنة ٥١١هـ/١١١٨م في مدينة حلب وتوفي سنة ٥٩٦هـ/١١٧٣م. ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق وإشراف إحسان عباس، إعداد وداد القاضي وعز الدين أحمد موسي، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، م٥، ص١٨٤-١٨٥.
(٦)أحمد محمد حسام الدين: البيمارستانات الباقية بدمشق والقاهرة، ص١٤٣-١٤٧.
(٧٨) مؤمن أنيس عبدالله البابا: البيمارستانات الإسلامية، ص١٣٧.

بيمارستان السلطان المنصور قلاوون (٦٨٣-٦٨٤هـ/١٢٨٤-١٢٨٥) بالقاهرة لوحة (٣،٤،٥)؛ [٧٩] فنظم به الأطباء على حسب التخصصات الطبية وأفرد لكل طائفة من المرضى أماكن تختص بهم، فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات، وجعلت قاعة للرمد، وقاعة للجرحى، وقاعة للطب الباطني، ومكان حسن لاستقبال المختلين عقليا للرجال ومثله للنساء. [٨٠] وكان يوجد مجلسا بالبيمارستان يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء الدروس الطبية على الطلبة الموجودة به. [٨١] فقد قدم بيمارستان قلاوون في القرن الثالث عشر الميلادي ما يسمى بالعلاج الترفيهي لأصحاب المرضى النفسيين والعقليين، فكان يشمل على الموسيقى وقص الروايات والمشاهد التمثيلية ويشبه هذا ما يعرف باسم السيكودراما. [٨٢]

البيمارستان المؤيدي (٧٢١-٩٢٣-١٤١٨-١٤٢٠م) في مصر لوحة (٦،٧)،[٨٣] حيث كان للبيمارستان المؤيدي دوراً اجتماعياً هاماً في رعاية العجزة والأيتام، كما كان به أماكن لعزل المصابين بالأمراض النفسية والعقلية وكذلك الامراض المعدية وغيرها من التخصصات الطبية المختلفة. هذا بالإضافة إلى الدور العلاجي والاجتماعي الذي يقدمه البيمارستان؛ فكان أيضا دار لتدريس الطب وعلم التشريح إذ كانت بمثابة جامعة لتدريس وتدريب الأطباء عبر عرض الحالات، وتشخيصها، وعرض طرق العلاج المختلفة للطلاب، وكان بها جانب هام للعلاج بالموسيقى حيث كان يحتوي البيمارستان علي فرق موسيقية لعزف مقطوعات تساعد علي تهدأه الأعصاب لعلاج المرضى النفسيين .

---

(٧٩) المنصور قلاوون هو السلطان المنصور سيف الدين بن عبد الله الألفي الصالحي ملك مصر سنة (٦٧٨- ٦٨٩ هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م) ولقب بالألفي لأن آق سنقر الكاملى اشتراه بألف دينار. عين أتابكاً لبدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس نظراً لصغر سنه ولقب بالملك العادل؛ إلى أن أخذ يمكن نفسه من السلطنه حتى خلعه وتولى السلطنة بدلا منه سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م. حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢٠٠. واستطاع السلطان قلاوون في فترة حكمه أن يقوم بالكثير من الاصلاحات الداخلية والانتصارات الخارجية. فقد انتعش في عهده أحوال مصر السياسية والإجتماعية والفنية؛ وبذلك آل حكم الشام ومصر للسلطان المنصور قلاوون. إلى أن توفي عندما كان قاصد فتح عكا سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، وحينها أصابته وعكه صحيه إلى أن توفي ودفن بضريحه بالقبة المنصورية داخل البيمارستان. محمد حمزه إسماعيل الحداد: صفحات من تاريخ مصر "السلطان المنصور قلاوون"، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية،١٨١٤هـ/١٩٩٨م، ص٢٣، ص١١٠. ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق محمد علوى شلتوت، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٨م، ج١، ص٣٢٧. ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد رمزى، دار الكتب، د.ت، ج٧، ص٢٩٢-٣١١. جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، د.ت، ج٢، ص١٦٣.

(٨٠) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص٨٦-٨٧.

(٨١)عماد عبد الرؤف محمد الرطيل: دور العلاج في القاهرة من الفتح العثماني وحتى نهاية القرن الـ ١٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٣٢٨هـ/٢٠٠٧، ص٤٠.

(٨٢)عبدالرحمن محمد العيسوي: الطب النفسي في التراث الإسلامي، ص ٩١.

(٨٣) بناه السلطان المؤيدي أبو النصر سيف الدين شيخ بن عبدالله المحمودي الظاهري أحد المماليك الجراكسة الذين كانوا يعيشوا بآسيا الصغرى. أشتراه أحد التجار يدعى محمود شاه اليزدى وجاء به إلى القاهرة سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م؛ وبعد موت التاجر محمود أخذه السلطان الظاهر برقوق وحاز على منزلة كبيرة لدى السلطان وأخذ يتدرج في المناصب إلى أنه توفي السلطان الظاهر برقوق وجاء من بعده ابنه الناصر فرج بن برقوق وعين المؤيد نائب طرابلس، ثم ولي نيابة الشام، وبعد غدر المؤيد بالسلطان الناصر فرج بن برقوق وقتله أخذ منه الحكم سنة ٨١٥هـ/١٣١٢م. إلى أن توفي سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م ودفن بقبة المسجد المؤيدي. ابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٢م، ج٢، ص٤. فهمي عبدالعليم رمضان: جامع المؤيد شيخ، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٧. ابن الصيرفي (على بن داود بن إبراهيم ت٩٠٠هـ): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٣هـ/٢٠١٠م،ج٢، ص٣١٧.

والبيمارستان القيمري (٦٤٦-٦٥٦هـ/١٢٤٨-١٢٥٨م) ضم العديد من التخصصات الطبية من بينهم قسم خاص لمعالجة المرضى النفسيين والعقليين لوحة (٨،٩،١٠،١١). [٨٤] **والبيمارستان الأرغواني** (٧٥٥هـ/١٣٥٤م) الذي أنشئ لعناية ورعاية مرضى الجذام والمرضى النفسيين والعقليين لوحة (١٢،١٣)؛ [٨٥] ويعتبر من أهم البيمارستانات الإسلامية في حلب لعلاج هؤلاء المرضى حيث كان يعالج هؤلاء المرضى بعدة طرق منها الموسيقى، وصوت الماء، وضوء النهار. [٨٦] وغيرها من البيمارستانات التي أنشأت على مدار العصور والتي كان لا مثيل لها في ذلك الوقت، وكانت تؤدى دورها بالشكل المتكامل كما هو الآن بالمستشفيات الحديثة. [٨٧]

نظم العلاج بالبيمارستانات الإسلامية

أُنشأت البيمارستانات الإسلامية وفق نظاما إدارياً دقيقاً تسير عليه؛ فانقسمت إلى قسمين قسم للذكور وقسم للإناث، ويعتبر كل قسم بيمارستانا قائماً بذاته، ومجهز بما يحتاج إليه من الآلات وفئات العاملين كالخدم، والفراشين، والمشرفين من النساء والرجال. ويحتوى كل قسم على قاعات مختلفة للأمراض قاعة للأمراض الباطنية، وقاعة للجراحة، وقاعة للكحالين (أمراض العيون)، وقاعة للتجبير. وكانت قاعة الأمراض الباطنية مقسمة إلى أقسام أخرى: **قسم للمحمومين** وهم المصابون بالحمى، **وقسم للمرورين** وهم أصحاب المرضى المختلون عقلياً، **وقسم للمتخومين** وهو للمصابين بالإسهال الشديد. [٨٨]

كان لكل قسم من هذه الأقسام رئيس؛ حيث أتبع الأطباء العرب نظام المرور على المرضى لتفقد أحوالهم كما هو الحال بالمستشفيات الحديثة في الوقت الحاضر، فكان رئيس الأطباء يمر على المرضى مع مساعدين لتفقد المرضى وما كُتب لهم من أدوية. فإذا اضطر الحال فيستدعون الأطباء المتخصصين من قسم آخر غير الذي يقيم به المريض للاستشارة. كما عرفوا نظام المناوبة في العمل فكان بعض رؤساء الأطباء تقع نوبته يومين وليلتين. وكان لكل مريض سرير خاص به. كما أدرك الأطباء المسلمين نظام العزل لأصحاب الأمراض المعدية

(٨٤) بناه الأمير سيف الدين أبو الحسن بن أبي الفوارس بن موسك القيمري أحد الأمراء الأيوبيين، وهو من أبطالهم المذكورين وصلحائهم المشهورين، وهو ابن أخت صاحب قيمر وأكبر أمراء القيامرة (الصالحية). حيث كانوا يقفون بين يديه كما تعامل الملوك. وكان صاحب مال ونعمة وافرة وجلالته ظاهرة مرتفعة، وله بر معروف ومواقف ووقوف، ومن أكبر حسناته وقفه للبيمارستان الذي بسفح قاسيون الصالحية. وقد اختلف المؤرخين حول تاريخ وفاته والأرجح أشار إلى أنه توفي سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٤٥. محمود مرسى مرسى يوسف: العمائر الإسلامية الدينية والمدنية الباقية في مدينة دمشق خلال العهدين الزنكي والأيوبى، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم الآثار الإسلامي، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٨٤.

(٨٥)عبدالوهاب مصطفى ضاهر: عمارة المجمعات والمباني الطبية (البيمارستانات) فى الإسلام، مركز الدراسات الإسلامية العالمي، موسوعة العمارة الإسلامية، المجلد ١٠، ص ٧٥.

(٨٦) بناه الأمير سيف الدين أرغون الكاملي تسلم نيابة حلب مرتين كانت الأولى سنة (١٤٣٩-١٣٥١م)، والثانية في أواخر سنة ١٣٥٤م وهي الفترة التي أنشا بها البيمارستان الأرغوني الكاملي. وفى نفس العام من ولايته الثانية عزله السلطان الملك الناصر حسن عن الإمارة، ثم سجن بالاسكندرية مدة إلى أن أفرج عنه، وقام في القدس الشريفة حتى توفي سنة (٧٥٨هـ/١٣٥٧م) ودفن في تربة المدرسة الأرغونية التي شيدها بالقدس. (٨٦) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات فى الإسلام، ص ٢٥٣. عبدالوهاب مصطفى ظاهر: عمارة المجمعات والمباني الطبية، ص٧٨-٧٩.

(٨٧)بركات محمد مراد: التراث الطبي العربي والصيدلة، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٢٧.

(٨٨) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص١٨-١٩.

كبيمارستانات لأمراض خاصة كالجذام. وقد كان للبيمارستان " ناظر " يشرف على إدارة الأموال والأوقاف المخصصة له، وكانت إدارة أقسام البيمارستان يتولاها رئيس يسمى " الساعور " أي متفقد المرضى. (٨٩)

أيضاً انقسم النظام العلاجي في البيمارستان إلى نظامين وهما؛ **النظام الأول** هو العلاج الخارجي، وهو ما يشبه العيادة الخارجية فيجلس الطبيب على دكة ويكتب الدواء لمن يرد عليه من المرضى. وكان يمنح العلاج من خزانة البيمارستان مجانا. فكان المريض يتناول الأدوية والأشربة في البيمارستانات، ثم ينصرف ليتعاطاه في المنزل. و**النظام الثاني** لمعالجة المرضى داخل البيمارستانات، فيوزعون على قاعات حسب أمراضهم، بحيث كل مريض يمكث في القسم الخاص بمرضه حتى يتم شفائه، وكان لكل قسم طبيبين أو أكثر، على حسب السعة وكثرة المرضى. (٩٠)

كانت البيمارستانات مفتوحة لكل مريض يحتاج للمعالجة بغض النظر عن جنسه، ودينه، ولونه أو مكانته في المجتمع. فكانوا يستقبلون المرضى أحسن استقبال، فذكر المقريزي في خططه " أن المرضى عند دخولهم إلى البيمارستانات، فتنزع عنهم ثيابهم، ويعطون ثيابا نظيفة، وتؤخذ نقودهم وتودع عند أمين البيمارستان، وكانوا يتناولون الأدوية والأغذية بإشراف الأطباء طيلة مكوثهم في البيمارستان مجانا إلى أن يتم شفاء المريض وأمارة الشفاء هو أن يكون المريض قادرا على أن يأكل فروجا ورغيفا ". (٩١) وإذا كان المريض فقيرا؛ فعند شفائه يُعطى ثيابا ومبلغاً من النقود يكفيه إلى أن يصبح قادرا على العمل. والذي يموت في البيمارستان يجهز ويدفن على حساب البيمارستان، ويقال أن بعض الناس كانوا يتمارضون رغبة في الدخول إلى البيمارستان والتنعم من خيراته. (٩٢)

بلغت الخدمة في البيمارستانات درجة عالية من الرقي والرفاهية التي كانت يعيش بها المرضى. فأقيم على البيمارستان موظفين من أجل خدمة ورعاية المرضى كمن يسقيهم الأدوية والعقاقير وهم في فراشهم، وكذلك تقديم

(٨٩) محمد كامل حسين: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا، ١٩٩٧م، ص٢٢٩.
(٩٠) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص٣١.
(٩١) المقريزي (تقى الدين أحمد بن على ابن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم ت٨٤٥هـ): المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار، جزئيين، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٢٧١هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص٤٠٥.
(٩٢) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام،ص٨٦. وقد أشارت المستشرقة زيغريد هونكة رسالة من مريض فرنسي في قرطبة إلى ابيه في فرنسا ، في حوالي عام ١٠٠٠ ميلادية، فيقول مخاطبا والده: " أبي الحبيب، تسألني إن كنت بحاجة إلى نقود! فأخبرك بأن العلاج مجاني في هذا المشفي الإسلامي، وبأني عندما أخرج من المستشفي، سأحصل على لباس جديد وخمس قطع ذهبية حتى لا اضطر إلى العمل حال خروجي =مباشرة فلست بحاجة إذن إلى أن تبيع بعض ماشيتك؛ ولكن عليك بالإسراع في المجيء إذا أردت ان تلقاني هنا. إني الآن في قسم العظام بقرب قاعة الجراحة. وعندما تدخل من البوابة الكبيرة، تعبر القاعة الخارجية الجنوبية وهي مركز العيادات الخارجية حيث أخذوني بعد سقوطي، وحيث يذهب كل مريض يعاينه الأطباء المساعدون وطلاب الطب. ومن لا يحتاج منهم إلى معالجة دائمة في المستشفي تُعطى له وصفته فيحصل بموجبها على الدواء من صيدلية الدار. وأما أنا فلقد سجلوا اسمي هناك بعد المعاينة وعرضوني على رئيس الأطباء، ثم حملني ممرض إلى قسم الرجال، فاعتنوا بى وحممني حماماً ساخناً والبسني ثياباً نظيفة من المستشفي. وحينما تصل ترى إلى يسارك مكتبة ضخمة وقاعة كبيرة حيث يحاضر الرئيس في الطلاب. وإذا ما نظرت وراءك يقع نظرك على ممر يؤدي إلى قسم النساء. ولذلك عليك ان تظل سائراً نحو اليمين، فتمر بالقسم الداخلي والقسم الجراحي مروراً عابراً؛ فإذا سمعت موسيقى أو غناء ينبعثان من قاعة ما، فادخلها وانظر بداخلها، فلربما كنتُ أنا هناك في قاعة النقاهة حيث تشنف آذاننا الموسيقى الجميلة ونمضي الوقت بالمطالعة المفيدة. سيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار صادر، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٣٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٢٢٧-٢٢٨.

الماء البارد والثلج إلى الأطباء والفراشين والطباخين والبوابين والحراس. كما زين بجانب البيمارستانات بساتين لمختلف الثمار. [٩٣]

ضمت البيمارستانات العديد من المرافق التي تخدم البيمارستان؛ ومن أهم تلك المرافق وجود خزانة للشراب وهي الصيدلية، وقد قال عنها أبو العباس القلقشندي: " هذه الخزانة المعبر عنها الشربخانة (أي بيت الشراب). تحتوي على جميع أصناف الأدوية والعقاقير والأشربة والمعاجين والمربيات الفاخرة والعطريات الفائقة التي لا توجد إلا فيها، وتتوافر بها الأواني الصينية والآلات النفيسة والأزيار التي كان لا يقدر على امتلاكها إلا الملوك. [٩٤] وقد كان لكل بيمارستان رئيس يسمى صيدلي البيمارستان أو شيخ صيدلاني البيمارستان أو يدعى بالمهتر (المهتار). [٩٥] فكان الطبيب في نفس الوقت هو الصيدلاني وهو المسئول عن تحضير الأدوية من المعاجين والأشربة، ويتبع رئيس الصيدلية الشربدار وهو ممسك الشراب الذي يخدم المرضى ويعطيهم الدواء (الشراب)، وكان يطلق على العاملين في الصيدلية لقب صانعي الأدوية ويختلف عددهم من بيمارستان لآخر، وقد ارتدى الصيادلة رداء أبيض وكانوا يصرفون الأدوية بمقادير (المعايير). [٩٦]

كما كانت البيمارستانات مجهزة بالمكتبات التي تحوي الكثير من مؤلفات أبقراط وجالينوس وغيرهم من أطباء المسلمين، وكان يجتمع فيها الأساتذة والطلاب بعد جولة الصباح على المرضى. [٩٧] ويرجع اهتمام العلماء المسلمين بإنشاء المكتبات في البيمارستانات إلى الدور الذي كان يقوم به البيمارستان وهو تدريس الطب والذي كان يتعدى التمريض والعلاج. بل وأصبح مركزاً لإعداد الأبحاث الطبية، أي كانت بيمارستانات الماضي بمثابة كليات طب في عصرنا الحديث. [٩٨]

لم تكن البيمارستانات الإسلامية سواء في مصر وبلاد الشام قاصرة على المداوة فقط بل توافر بها مصانع للأدوية وعيادات خارجية لصرف الدواء، وخزانات كبيرة لحفظ الأدوية. وأضيفت قاعات لتدريس الطب، وكانت الخدمات بها مجانية، ويصرف عليها من مال الدولة التي تشمل أجور الأطباء وخدمة المرضى. كما توافر بها المكتبات التي تضم العديد من الكتب الطبية والتي تستخدم في التدريس، فأصبح بكل بيمارستان مكتبة كبيرة يستفيد منها الأطباء والمرضى والتلاميذ الذين يتعلمون الطب. كما نهضت البيمارستانات من الناحية العملية حيث ظهرت بها فكرة التخصص فكان هناك اهتمام بالمجذومين والمختلين عقلياً ومن يعانون الأمراض النفسية

(٩٣) بركات محمد مراد: التراث الطبي، ص١٢٣.
(٩٤) القلقشندي (أحمد بن على بن أحمد الفزاري ت٨٢١هـ): صبح الأعشي في صناعة الانشا، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية بالعامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت، ص.٤٧٦.
(٩٥) المهترأو المهتار: هو صاحب المكانة العالية. ويطلق عليه شيخ صيدلانى البيمارستان، ومن ألقابه الشاد، ومتسلم الحواصل، وتحمل جميعها نفس المعنى. وكان يصاحبه غلمان يساعدنه في سحق المعاجين وفي تحضير الأدوية والأشربة. سهيل على ذيب هياجنة : البيمارستان في العصرين الأيوبي والمملوكي في الشام، ص١١٤. أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص١٩.
(٩٦) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص١٩. سهيل على ذيب هياجنة: البيمارستان في العصرين الأيوبي والمملوكي في الشام، ص١١٤-١١٥.
(٩٧) إسلام المازني: تاريخ الطب والأطباء المسلمين، ص٤٤.
(٩٨) مؤمن أنيس عبدالله البابا: البيمارستانات الإسلامية، ص٧١-٧٢.

المختلفة. حيث أحسنوا مداواتهم ومعاملتهم برفق ولين، واستخدموا لهم العديد من الوسائل على سبيل التلطيف كالمسكنات، والرياضة الخفيفة، والموسيقى الهادئة. (٩٩)

وقد كانت البيمارستانات الإسلامية تقام في أجمل الأماكن بالمدن الكبرى، وتحتل المباني الفسيحة حسنة الزخرفة .(١٠٠) يتوفر فيها الشروط الصحية لإيصال الخدمة إلى المرضى باختلاف أحوالهم وطبقاتهم، فتتسم بأنها رفيعة البنيان واسعة القاعات يجري بها الماء، ومتقنة الزخارف وغنية بالنقوش، وتضم الحمامات وخزانة الشراب والمكتبات ومكان مخصص للتعليم الطبي.(١٠١)

قد توصلت الباحثة للعديد من النتائج التي تظهر الدور الريادي لعلماء المسلمين في الطب النفسي وهو الدور الذي يتجلى في أن:

١. الممارسة الطبية عند العلماء المسلمين كانت مبنية بطرق علمية تقوم على الملاحظة والتجربة، ومن ثم التشخيص.
٢. العلماء المسلمين سبقوا غيرهم من علماء دول الغرب في مدى العناية بالمرضى النفسيين وتشخيص حالتهم على عكس ما كان سائداً في أوربا من التعامل مع هؤلاء المرضى بطرق تتسم بالعنف والسب والحرق وعدم الاعتراف بهم ومحاولات التخلص منهم.
٣. خلال العصور الإسلامية المختلفة تعددت البيمارستانات؛ فكان منها الثابت ومنها المتنقل. كما أنها اتبعت نظم إدارية تظهر مدى اهمية تلك المؤسسات ودورها الاستشفائي لمختلف الأمراض الجسدية وكذلك النفسية.

المصادر والمراجع

- **ابن الصيرفي (على بن داود بن إبراهيم ت٩٠٠هـ):** نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٣هـ/٢٠١٠م.
- **ابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م):** بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٢م.
- **ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي ت١٢٦٩هـ):** عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- **ابن الأثير(أبي الحسن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م):** الكامل في التاريخ، تحقيق أبي النداء عبد الله القاضي، مكتبة دار الكتب، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٨م.

(٩٩) مروى بدرى عبد النعيم عيد: أطباء الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الخلافة (٩١-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ص٤٣-٤٥.

(١٠٠) محمد كامل حسين: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص٢٢٨.

(101) Sayilu,A." The Emergence Of The Prototype Of The Modern Hospital In Medival Islam," History And Philosophy Of Science, hakim said editor, karechi, Pakistan Foundation, 1938, P. 139-140.

- **ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):** الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق محمد علوى شلتوت، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ـــ : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد رمزى، دار الكتب، د.ت.
- **ابن جبير** : الرحلة، دار صادر، بيروت، د.ت.
- **ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت٦٨١هـ):** وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق وإشراف إحسان عباس، إعداد وداد القاضي وعز الدين أحمد موسي، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- **ابن سينا (أبو على الحسين عبدالله الملقب بالشيخ ت٧٧٩هـ):** القانون في الطب، تحقيق محمد الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ـــ : الشفاء "أحوال النفس"، تحقيق جورج قنواتى وسعيد زايد، مراجعة إبراهيم بيومى مدكور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م.
- **ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم ت٢٧٦هـ):** المعارف، تصحيح وتعليق ومراجعة: محمد إسماعيل الصاوى، الطابعة الثانية، بيروت، ١٣٩٠هـ، ص٢٠٣.
- **ابن كثير (الحافظ أبي الفداء إسماعيل ت ٧٠١هـ):** البداية والنهاية، تحقيق على شيرى، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- **ابن منظور: أبى الأفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقى المصرى (ت٧١١هـ/١٣١١م):** لسان العرب، دار صادر، الطبعة الأولى بيروت، م٦، ١٩٩٢م، ص٢١٧.
- **أبو بكر البيهقى (أحمد بن الحسين على بن موسي ت ٣٨٤-٤٥٨هـ):** دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- **أحمد عبدالرازق:** الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى،١٤١١هـ/١٩٩١م.
- **أحمد عكاشة:** الطب النفسي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢م.
- **أحمد عيسي:** تاريخ البيمارستانات في الإسلام، مؤسسة دار رائد العربى، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- **أحمد محمد حسام الدين:** البيمارستانات الباقية بدمشق والقاهرة " دراسة معمارية مقارنة "، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- **إسلام المازني:** تاريخ الطب والأطباء المسلمين، دار العرب ودار نور، د.ت، ص٤٧.
- **إسماعيل اليوسف:** قاموس الطب العربي، دار الكتب العربي، دمشق، ١٩٨٥م.
- **الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا ت ٣١٣هـ):** سر صناعة الطب، تحقيق خالد حربي، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
- **الرازي:** منافع الأغذية ودفع مضارها، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

- **القفطي (جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م):** تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزنى المسمى بالمنتخبات والملتقطات من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجى بمصر، د.ت.
- **القلشندي (أحمد بن على بن أحمد الفزاري ت٨٢١هـ):** صبح الأعشي في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية بالعامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
- **المرشد في الطب النفسي:** سلسة الكتاب الطبي الجامعى، إعداد نخبة من أساتذة الجامعات في العالم العربى، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي للشرق الأوسط، ١٩٩٩م.
- **المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦هـ/٩٥٤م):** مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، كتاب التحرير، ١٩٦٦م، ج٣، ص١٣٣.
- **المقريزي (تقى الدين أحمد بن على ابن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم ت٨٤٥هـ):** المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزئيين، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٢٧١هـ/١٩٨٧م.
- **أمال سالمي وسعاد شهبان:** الابتكارات الطبية للعرب في العصر الوسيط، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ٨ مايو – قالمة ١٩٤٥، قسم التاريخ، كلية الدراسات الإنسانية والإجتماعية، ٢٠١٨/٢٠١٧م.
- **أيمن توفيق:** تاريخ الجراحة منذ أقدم العصور، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- **بركات محمد مراد:** التراث الطبي العربي والصيدلة، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولي، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- **جمال الدين الشيال:** تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، د.ت.
- **حسن كمال:** الطب المصري القديم، الهيئة المصرية العامة للكتب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م.
- **حنيفة الخطيب:** الطب عند العرب، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م.
- **خالد عزب:** التراث الحضاري المعماري للمدن الإسلامية، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- **راغب السرجاني:** قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- **ـــ** : ماذا قدم المسلمون للعالم، مؤسسة اقرأ، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ،٢٠٠٩م.
- **ربحي مصطفي عليان:** البيمارستانات "المستشفيات" في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة الأفاق، الناشر جامعة الزرقاء، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، العدد ٧، ٢٠٠٢م.
- **رحاب خضر عكاوى:** الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، بيروت– لبنان، ١٩٩٤م.
- **رياض رمضان العالمين:** الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم، عالم المعارف، ١٩٨٨م.
- **سليم عمار:** طب النقس والأعصاب في المغرب والأندلس، اتحاد الأطباء النفسانيين العرب، المجلة العربية للطب النفسي، المجلد ٣، العدد الأول، ١٩٩٤م.
- **سمية حسن:** آلات الجراحة في مصر على مر العصور، مركز الدراسات البردية، جامعة عين شمس، العدد الثامن، ١٩٩٢م.

- **سمير شيخاني:** أعلام الحضارة، بيروت، ١٩٨١م.
- **سهيل على ذيب هياجنة:** البيمارستانات في العصرين الأيوبى والمملوكي في الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٢م.
- **سيغريد هونكة:** شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار صادر، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٣٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- **طارق الحبيب:** لمحة موجزة عن تاريخ الطب النفسي في بلاد المسلمين، دار المسلم، ١٤١٩هـ.
- **عامر النجار:** تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف، الطبعة الثالثة، الاهرام، ١٩٩٤م.
- **عبدالرحمن محمد العيسوي:** الطب النفسي في التراث الإسلامي، دارة الملك عبدالعزيز، مج٨، ع٢، أكتوبر ١٩٨٢م.
- **عبدالرزاق القلسى:** الاكتئاب والطب النفسي في الحضارة العربية الإسلامية، مؤسسة هنداوى بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، ٢٠١٥م.
- **عبدالستار إبراهيم:** العلاج النفسي الحديث، المجلس القومية للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٠م.
- **عبدالفتاح محمد العيسوي:** المنهج العلمي في الطب النفسي عند ابن سينا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق– فرع بنها، ١٩٩٢م.
- **عبدالوهاب مصطفى ضاهر:** عمارة المجمعات والمباني الطبية (البيمارستانات) فى الإسلام، مركز الدراسات الإسلامية العالمي، موسوعة العمارة الإسلامية، المجلد ١٠.
- **عبدالرؤوف ثابت:** الطب النفسي المبسط، الهيئة المصرية العامة للكتب، د.ت.
- **على عبدالله الدفاع:** رواد علم الطب في الحضارة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- **على مبارك:** الخطط التوفيقية لمصر القاهرة، دار الكتب، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
- **عماد عبدالرؤف محمد الرطيل:** دور العلاج في القاهرة من الفتح العثماني وحتى نهاية القرن الـ ١٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٣٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- **عمر فروخ:** تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- **عيسى إسكندر المعلوف:** تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوى، القاهرة، ٢٠١٢م.
- **فهمي عبدالعليم رمضان:** جامع المؤيد شيخ، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- **كلود كيتيل:** تاريخ الجنون من العصور القديمة وحتى يومنا هذا، ترجمة سارة رجائى يوسف وكريستينا سمير فكرى، ومراجعة محمد السيد الطوخى، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- **كمال السامرائي:** مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال، د.ت.
- **محمد حمزه إسماعيل الحداد:** صفحات من تاريخ مصر "السلطان المنصور قلاوون"، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية،١٨١٤هـ/١٩٩٨م.
- **ماهر عبد القادر:** دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١م.

- **محمد على بديوي:** تطور العلوم الطبية والمساهمة الإسلامية فيه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد٣٣٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- **محمد كامل حسين:** الموجز في تاريخ الطب والصيدلة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ليبيا، ١٩٩٧م.
- **محمود الحاج قاسم:** الطب عند العرب والمسلمين " تاريخ مساهمات"، الدار السعودية للنشر، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- **محمود مرسى مرسى يوسف:** العمائر الإسلامية الدينية والمدنية الباقية في مدينة دمشق خلال العهدين الزنكي والأيوبى، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار الإسلامي، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠٠٢م.
- **مروى بدرى عبدالنعيم عيد:** أطباء الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الخلافة (٩١-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.
- **مؤمن أنيس عبدالله البابا:** البيمارستانات الإسلامية في العصر العباسي (١-٦٥٦هـ/٦٢٢-١٢٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٠م.
- **هيكل نعمة الله وإلياس مليحة:** موسوعة علماء الطب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩١م.

- Sayilu,A." The Emergence Of The Prototype Of The Modern Hospital In Medival Islam," History And Philosophy Of Science, hakim said editor, karechi, Pakistan Foundation, 1938.
- Walid. S, "The Contribution Of Arab Islamic Civilization to Mental Health", The Arab Journal of Psychiatry, vol.19, no-1 (May-2018).

اللوحات

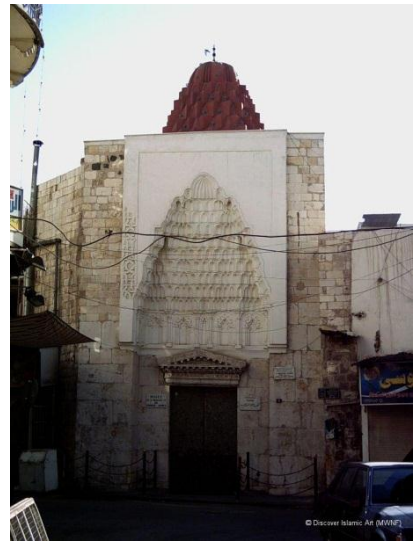

لوحة (١) الواجهة الغربية الرئيسية للبيمارستان النوري يظهر بها المدخل الرئيسي المتوج بالمقرنصات والقبة الحمراء ذات الطراز الرافدي

https://www.google.com/amp/s/www.syr-res.com/amp.php%3fid=17229

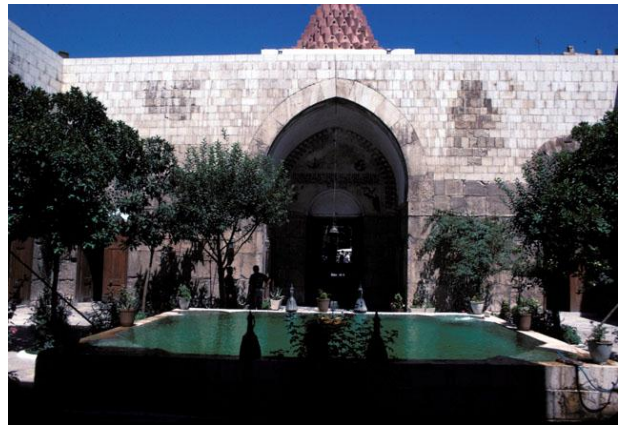

لوحة (٢) الصحن ويتوسطة الفسقية ويظهر بها الإيوان الغربي للبيمارستان النوري

https://www.google.com/amp/s/www.syr-res.com/amp.php%3fid=17229

لوحة (٣) الواجهة المعمارية لمجموعة المنصور قلاوون بشارع المعز (٦٨٢-٦٨٣هـ/١٢٨٣-١٢٨٤م – أثر رقم ٤٣)

تصوير الباحثة

لوحة (٤) كتلة المدخل الرئيسي للمجموعة المعمارية للمنصور قلاوون

تصوير الباحثة

لوحة (٥) نماذج من بقايا الحجرات الخاصة بالمرضى النفسيين من النساء والرجال ببيمارستان المنصور قلاوون وتظهر بها الفسقية التي تتوسط تلك الحجرات

تصوير الباحثة

لوحة (٦) الواجهة الشمالية الشرقية الرئيسية للبيمارستان المؤيدي

تصوير الباحثة

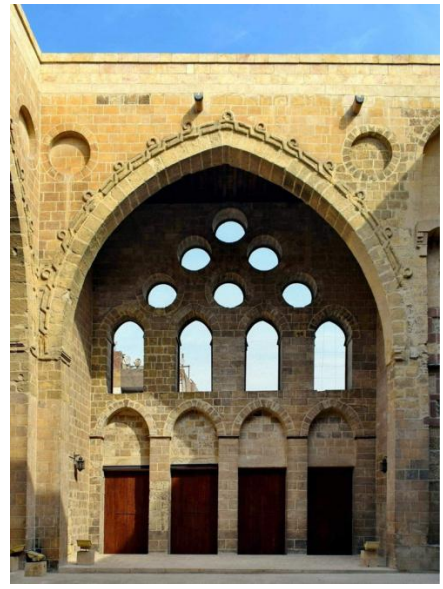

لوحة (٧) تكوين النوافذ والقمريات بالإيوانين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي بالبيمارستان المؤيدي

تصوير الباحثة

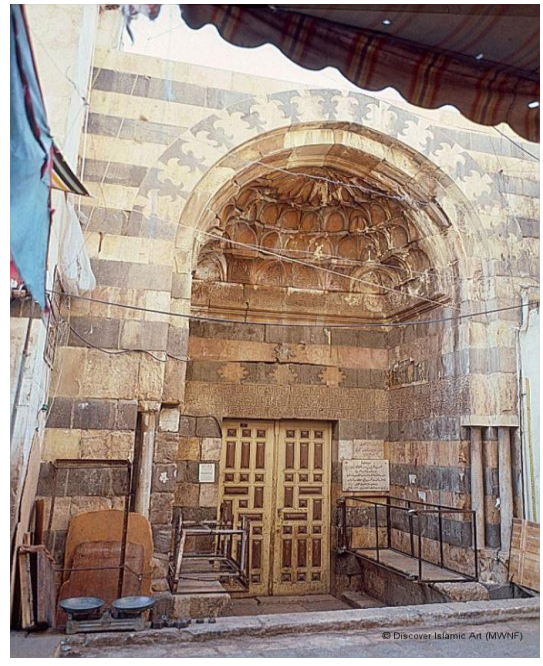

لوحة (٨) كتلة المدخل للبيمارستان القيمري والتي يتوسطها المدخل

https://www.google.com/amp/s/www.syr-res.com/amp.php%3fid=16346

لوحة (٩) الإيوان الجنوبي للبيمارستان القيمري ويظهر به الدخلة المعقودة بعقد مدبب

https://www.google.com/amp/s/www.syr-res.com/amp.php%3fid=16346

لوحة (١٠) الإيوان الشمالي للبيمارستان القيمري

https://www.google.com/amp/s/www.syr-res.com/amp.php%3fid=16346

لوحة (١١) الإيوان الغربي للبيمارستان القيمري

https://www.google.com/amp/s/www.syr-res.com/amp.php%3fid=16346

لوحة (١٢) الرواق المطل على الباحة السماوية للبيمارستان الأرغوني

https://www.google.com/amp/s/www.syr-res.com/amp.php%3fid=12042

لوحة (١٣) الجناح المثمن بالبيمارستان الأرغوني

https://www.google.com/amp/s/www.syr-res.com/amp.php%3fid=12042

Journal of Association of Arab Universities for Tourism and Hospitality (JAAUTH)
journal homepage: http://jaauth.journals.ekb.eg/

The Pioneering Role of Muslim Scientists in The Treatment of Mentally Ill Patients

Esraa Mgdy Ahmed Boussy Mohamed Hussien Zedan Radwa Mohamed Omar El-Farouq
Tourist Guidance Department - Tourism and Hotels Faculty - Suez Canal University

ARTICLE INFO

Keywords:

Psychiatry; Muslim Scientists; Bimaristan; Types of Bimaristan; Administrative Systems.

(JAAUTH)
Vol. 23, No. 1,
(Dec 2022),
PP.220 -250.

ABSTRACT

This article talks about the pioneering role of Muslim scientists in the treatment of mentally ill patients and the evolution of the concept of psychiatry and its inclusion as one of the main branches of medicine throughout Islamic eras. The study elaborated the efforts of Muslim scientists in diagnosing psychiatric and mental diseases, as they were able to find a correlation between psychiatric diseases and certain organic diseases, and the role they contributed in developing and providing appropriate treatment and remedies for psychiatric patients. The article also highlighted the most important Islamic Bimaristan in Egypt and the Levant in terms of function, types and administrative systems of these institutions and their role in providing free treatment services and health and psychological care to patients.